

الموسيقى الشرقية

بين القديم والحديث

الفرة الحقيقية لتصبح ما

طاسة في فطرت التي فطرح الله هليسيها

وتقايد الاهنبي ، أبا طامه ، ركبش

طامه مفسرة لوطنية ، مفسرة

لكرامته .

(مراسم درستان)

هاريف . لم يظهر مثله في عالم الطب .

ن في قضية الموسيقى الشرقية والمغربي القديم ،

فيه الاسانيد والحجج الفنية والاجتماعية

ساندة صفا ، ومقارنة كتابج العصب

زعموا انه حديد في الموسيقى الشرقية وذلك

لا تدع لكابر مولجا ، ولا لبطال منديا .

ادر وفكاهات عن الفنانين الماضين

ن .

تأليف

الاجمير احمد مهندي

حقوق الطبع والنشر محفوظة للشارف

الطبعة الأولى عام ١٩٤٩

الفصل الاول

التقليد ضئيف وههانة

« القوة الحقيقية لشعب ما ، كامنة في فطرته
التي فطره الله عليها ، وتقليد الاجنبي ، أيا كان ،
وكيفما كان ، مفسدة لوطنيته ، مضيعة لكرامته »
(مدام دوستال)

الموسيقى أشعة من فطرتك ، وفلانة من طينتك ، وبضعة
من عصيتك ، وقبس من وطنيتك . قل لي ما موسيقاك ، أقل
لك من أنت .

كل ما بين يدي شعب ، وكل ما يحرزه ، وكل ما يصدر عنه
يتمها هو قوام قوميته ، وسمة جنسيته . وإنما لمزاياه التي تعرفه
بها ، وإنما لطابعه الذي يمتاز به ويفصل

فالموسيقى كفن من فنوننا ، ولسان الشعر من شعرائنا ،
وترجمان العواطف التي تنطلق من بين جوانحنا ، ومنطق الأخلاق
التي تتسم بها وبها نسمو ، هي بحكم المنطق السليم ، وبما أسلفنا
من القول ، قطعة ناطقة مبينة من فطرتنا ، ومن قوميتنا ، ومن
كرامتنا . فانظر يا هذا ، بعد هذا ، أين تضع موسيقاك منك
هو من الناس .

طلع علينا نفر من الضماليين المستضعفين بشيء سموه . في
 موسيقانا ، الجديد . . . ألا بعداً لهذا الجديد ! خلط قريب .
 وتأليف غريب ، وطرب سقيم عايل . هي مزج كمزج عناصر
 (الصلاطه) التفهة الغريبة ، إذا تنافرت أجزاءها ، وتضادت
 بقولها . ضغث (١) من الموسيقى الفرنجية ، وضغث من الموسيقى
 العربية ، أفلا هي ترضى أذنك ، ولا أذن الأوروبي تسمعها فترضى .
 يا قوم أفيقروا وارشدوا . ان الأوروبيين الذين تقلدون
 موسيقاهم ، وتطمعون بها موسيقانا المطربة الكريمة ، إن أولئك
 الأوروبيين جنس واحد ؛ تشابهوا ديناً وحضارة ، ومذاهب عيش
 ولسكنهم مع هذا ، لا تجدون لهم موسيقى واحدة أو مختلطة . لكل
 شعب منهم موسيقاه الخاصة به ، تحمل طابعه الخاص ، فتعرفه
 بسماه : هناك الموسيقى الفرنسية ، والموسيقى الإيطالية ، والموسيقى
 الألمانية ، والموسيقى الانجليزية . كذلك اختلفوا في فنونهم وآدابهم .
 لكل طابع امتاز به واستقل . فكيف ، ياهؤلاء ، وأتم لا يجمعكم
 بالأوروبيين إلّ ولا قرابة ، ولا لغة ، ولا دين ، ولا مذهب
 حياة ، ولا طبائع ، تضعون موسيقاكم في موسيقاهم ، وتضعون
 فيهم ، فلا تعرفون ، ولا تمتازون ، وأتم ، بموسيقاكم مع هذا
 الأعران ، لو كنتم تعارون .

(١) الضغث قبضة خشب مختلطة الرطب باليابس . ففي ذلك معنى
 الاختلاط ، ومنه اضفك أحلام أعنى رؤيا الاصح تأويها الاختلاطها .

كل اندماج وامتزاج مضيعة للأصل . وكل ما أضفته إلى مضافه
والحقته بملحق ، وأنت تظن بذلك تقوية من ضعف ، فقد قضيت
بإتبعيته ، وأذنت بحقارته وضآلته . من ذا يريد لنفسه ولأمته
التهمة والصغار ، ويضرب عليها الذلة والمسكنة ، وهو يبغها
الكرامة وعزة الاستقلال ؟

ضلة ما تظنون . ليس الاستقلال يهولاه في معاني السياسة
فقط . إنما هو في معانيه النفسية . فهي الجوهر ، وهي الأصل
والتكوين : استقلال في الخلق ، والتفكير والعمل ؛ استقلال
تشعر به في قرارة نفسك ، وتفهمه على صادق كنهه ؛ استقلال
لا لبس فيه ولا أشكال ، يتجلى لك بآثاره وأفعاله من أقدام ،
وثقة بالنفس ، واعتماد على النفس ، وكرامة تتسببها العلياء ،
وجهاد وعزة قعساء ؛ استقلال قد أسهتت (١) به وحلا مذاقه
في نفسك . أما إذا سرت في ظل غيرك في أمر من أمورك ،
وجريت على خطوه ، وانقدت بزمامه ، وتضائلت بازائه مستصغرا
لنفسك ، مستهينا بقوتك ، فأنت قد باينت الاستقلال السياسي
وفارقتة ، ان كنت أحرزته ؛ بل ضيعت الاستقلال جميعاً
بأشكاله وحالاته .

(١) اسهتت واستهتت بالشئ بالبناء للفعول ومنه مستهتت بفتح الفاء .

أولع بالشئ لا يبالي بما قيل

هنا الخاطى في ترويضنا ، وأخطاها بامة من الأنعام الفرونجية ،
 وترقيعها بالجان دخيله أجنبية ، ضعة ومهانة ، والذين يفعلون هنا
 هم أمة أبي لها دينها الذلة والمسكنة ، والتقليد المخزى المهين ، الإسلام
 يحث أهل على الجهاد والعزة ، وإياه الضيم ، وإن نذكر لك إلا
 مثلا من كثير هذه الآية الكريمة : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمين
 أنفسهم ، قالوا : فيما كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا :
 ألم تكن أرض الله واسعة ، فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم
 وساءت مصيرا »

ما التقليد والفناء فى الغير ، الا خزى وهوان ، واقرار بالضعف
 والتبعية . وكيف ، يا هؤلاء ، تريدون لنا الضعف ، ونحن نريد القوة ،
 ونريد الاستقلال !

وضعت مدام دوستال الكاتبة الفرنسية التابعة ، فى القرن
 التاسع عشر ، كتابا عن « المانيا » سطرت فى ما سطرت فيه من
 أبحاث وآراء ، كلمة ما أبعد خورها ، وما أجزل حكمتها ، ننقلها
 طولا للمستضعفين بنصها وفحصها . فان فيها نبرة لمن عبر
 فاعتبر . قالت :

« ان القوة الحقيقية لشعب ما ، كامنه فى فطرته التى فطره الله
 عليها ، وتقليد الأجنبي ، أيا كان ، وكيف كان ، مفسدة لوطنيته
 مضمجة لكرامته . »

الفصل الثاني

الموسيقى الشرقية ثروة زاخرة وجزالة
لا تقبل مزاجا ولا تخليطا

وما لكم هديتم إلى رشاد ، وهذا التقليد في موسيقانا ؟ إنما
تلبسها بالموسيقى الفرنجية لاعتقادك في هوانها وضعفها ، أو قسوة
طربها وحلاوتها ، أو عجزها عن أداء ما تروم منها من ضروب الأنعام
وشتيت الألحان . إن كان هذا ظنك بها ، فأنت لست شرقيا ، ولست
عربيا ، ولست مصريا ، بل لست فرنجيا ، يا هذا . إنما أنت شيء
مذبذب ، قد تعلقت في الهواء بين السماء والأرض ، لا إلى هؤلاء
ولا إلى هؤلاء . إن أردت ترضينا ، فما نحن براضين ، وإن أردت
الزلفى إلى الفرنج ، والرضى منهم عنك فما هم براضين ، وما هم لك
بمستمعين . انهم لا يستمعون إلا إلى موسيقاهم خالصة صريحة ،
ثم أنت تخرج مع هذا ، بالزراية بنفسك ، وإن لم تغمر كغفلة ،
عاستهم ينظرون إليك نظرة استخفاف وتبعية لهم ، واحتقار لك .
زد على هذا أنك تبدو جاهلا بالفن ، غبي عن علم موسيقاك .
أنت قد فتنتك موسيقى الفرنج ، واستهوت لك ، ففشا أنك ،
وإلى أهلها وما يلحنون منها ، فاستمع واطرب ما شاء لك الطرب بها ،
ولكن لا تغلطها بموسيقانا ، فلا ترح تجارتك بهذا الخلط فتبلا .
أو تزعم أن الموسيقى المصرية الشرقية هزيلة ضعيفة ؟ لنفرض

هكذا مجازاة لك، فما بالك لا تقويها وتنهض بها من ذات عناصرها؟
وما لك وهذا النظم لها بموسيقى غريبة عنها، منافرة لها، لا يسمعون
ولا يفهمون من جوع؟

على أنك يا سيدي القاريء، ليتولاك العجب لهؤلاء الذين
أشربوا في قلوبهم موسيقى الفرنج، كيف ذهبوا هذا المذهب، ومن
أين ظنوا أنهم قادرون أن يستدرجوننا إلى أن نفرض الضعف في
موسيقانا المصرية الشرقية، وهي جماع المحاسن والمفاتيح، ونخيل
الجزالة والفخامة؟

موسيقى، يالها موسيقى! قوة وجزالة، وثروة وطرب. وهي
من السهولة وتطاول المدى بحيث لا تجاريها الموسيقى الفرنسية، ولا
تلتحق بها في ميدان. فما بلغ، إلى اليوم، سلم الأنغام في الموسيقى
الفرنسية، مجازاة سلم الأنغام في الموسيقى العربية، وتعدد الأصوات
الموسيقية فيها، على بعد ما جهدوا في صناعة الآلة الموسيقية الفرنسية
المعروفة (بالبيانو) التي توردها المصانع الأوروبية إلى البلاد
الشرقية وأبناء الموسيقى العربية، وإعدادها لتأدية هذه الأنغام
والألحان العربية ذات الطول والحول، وما أوتيت من لطائف
الأصوات، وحق الأنغام، ودقائق (العفقات) على اصطلاح
موسيقينا العازفين على العود والكان.

أقامت وزارة المعارف المصرية منذ خمسة عشر عاما مؤتمرا
للموسيقى الشرقية، ودعت إليه أقطاب علماء الموسيقى في مشرقها
ومغربها، فوفد علينا منهم الألماني والفرنسي والانجليزي والسوري

والعراقي والمغربي ، ومن اليهم . وكان مما عهد إليهم بحثه ما إذا كانت الموسيقى الشرقية ، تنمو وترقى بتطعيمها بالموسيقى الغربية ، أو بمزجها بها . وهل الآلات الموسيقية الشرقية ، خير لها أن تبقى كما هي ، أو تحول إلى آلات موسيقية غربية ، أو تختلط بها .

وانعقد المؤتمر في ١٤ مارس سنة ١٩٣٢ . ومكث إلى الخامس من أبريل من تلك السنة . وقد كنا في عداد القائمين بالترجمة في ذلك المؤتمر . فكان إجماع آراء أولئك الأفاضل من علماء الموسيقى جميعا ، والأوروبية منهم خاصة ، أن الموسيقى الشرقية لها طابعها الخاص ؛ وكذلك آلاتها ، فما من الخير في شيء إدماجها في الموسيقى الغربية ، إذ أنه لكل منهما مزاج وطابع خاص . كل له وجهة هو مواليها . لا يأتلغان ولا يمتزجان ؛ وأنه من الاحتفاظ بما للموسيقى الشرقية من مزايا القوة والطرب والجمال ، صونها من كل مزج وخط وادمج ، أنغاما وألحانا ، وآلات ، بمثلها في الموسيقى الغربية .

ولعمري . لقد كان عبد الوهاب زعيم هذا المزج والادمج ، ومن تلا تلوه ، واحتذى مثاله من الأذنان والمقلدين ، حاضري المؤتمر يومئذ ، أحياء يسمعون ويبصرون أثناء انعقاده ، وعلموا الذي قد قاله هؤلاء العلماء الموسيقيون ، ولا سيما الأوروبيون منهم وقرروه . فما زادهم هذا الاضلالا وتماديا في ما هم فيه ماضون . فهل هذا منهم جهل مركب ، أو استهانة ، أو إغراب وخلاف من نوع ما يقال : خالف تعرف ؟

الفصل الثالث

الجديد! الجديد!...

كذلك كان . ومكث هذا الفريق لا يحفلون ، وما يرحوا في ضلالهم وضرعهم يهيمون ، وركبوا رؤوسهم متهادين في هذا التخليط الفرنجى العربى ، وعاثوا فى الموسيقى الشرقية فسادا بهذا الذى أشاعوه فى المذيع من أغان وألحان ما انزل الله بهامن سلطان ، كلها من هذا الضرب الذى ينموه بالجديد . شأنه عجيب مرعب ، وأنغامه متشابهات مسلمات ، الطرب عنه نام بعيد ، والتلحين فيه هزيل سقيم . شىء على السطح والوجه ، طائف متقلقل ، لا عمق فيه ولا احسان ، أجدر أن يكون للعبث والهزل ، لا للجد والأطراب .

الجديد! الجديد! جنون وخبال ، وعجز وصغار . فمن أراد ظهورا فى الناس ، ولم يكن عَضَّ على العلم بضرر س قاطع ، وكان دعياً مدعياً ، زعم انه قد جاءنا بجديد . وما جديدهم الامزق وترقيع . وما ينطق فينا ناعق بهذا الزعم إلا من سَفِه نفسه ، وهانت عليه همته . وحسر دون جزالة القديم ، وكل عن بلوغ عظمته واتساع حدوده ، وجلالة فنونه — وما هذا القديم ، لو

عليها ، الأثرات أجيال ، ضم جيل إلى من قبله جهداً جديداً ،
 فإذا هو ركام بعضها فوق بعض من الفن العجيب المنين ، وبتيان
 مرصوص من الطرب والصدفة يروع الناظرين — قلنا ، إذا حسر
 هذا المدعى المدعى ، وكلُّ دون جزائه القديم وعظمتاه ، راح يتكلف
 ويتنطع . وما هو إلا كما قال معاوية في مثله : (ما تزيد متزيد في
 أمره الا لنقص يجده في نفسه)

ان صاحب هذا القلم أوتي صوتاً جميلاً ، ولا نشر ، وغنى
 القديم كثيراً ، ولا يبرح يغنيه ، ولكن الموسيقى سماعاً وترقيماً
 (بالنوتة) ، وان هذا الذي يحدثكم ، ياهؤلاء المقلدون المستضعفون
 قد تخرج في كلية الفرير ، ونشأ في مدارسهم وترعرع ، ونبت
 عذاره ، وهو يملأ مسمعيه من ميسيقاهم ، إذ لهم أناشيد دينية
 لا تخلو الكنيسة منها يوماً ، إذ يقيمون الصلاة ، وانما لفي عقر
 المدرسة ، قد استوت في ركن منها ؛ من حضر الصلاة من طلبة
 الكلية من النصارى ، ومن امتنع من غيرهم ، سمعها وتملاً منها ،
 ينشدون الأناشيد الدينية في صلواتهم ، على وقع آلاتهم الموسيقية
 ويعرف هذا عندهم بالخوروس (CHOEUR) أي جوقة المنشدين
 كنت أسمع هذه الموسيقى الفرنجية منذ كنت غلاماً غريباً ،
 ابن الثامنة ، إلى أن تخرجت وغادرت الكلية ، بشهادتي وقد شارفت
 السابعة عشرة . ثم كنت أسمعها ، وأنا شاب مجتمع أشدّي ، في
 دور التمثيل ، وأندية اللهو ، واضرب لك مثلاً من كثير ، بقهوة

البوسفور المعروفة بميدان باب الحديد بالقاهرة ، قبل الحرب
الكبرى الأولى ، إذ كان أصحابها قد امتحضروا جوقة موسيقية
من القيان (١) المنسويات ، من الخود (٢) الحسان يعزفن وينغنين
كل ليلة لمن حضر ولمن ، شاء . فما أتكلم عن جهل بالموسيقى الفرنجية
ولا بالشرقية ، ولا أنا من القابحين في بعض قرى الريف من
حرات الأرضين لم ابرح ولم اتثقف ، ولا أنا بمتعصب جموح
ضلة وجهالة . فأنا ان قلت ، قلت عن خبر وعيان ، وان نطقت
فمن علم وبيان . وما يحدثك مثل خبير .

شر مستطير ، وبلاء وبيل . لقد كدنا ننسى أن لنا أصلا أثيلا
وماضيا عريقا بطغيان هذا الجديد . فكأنما نحن نبات شيطاني ،
أو نخلق من الأوس طارىء ، قد نجم لساعته من غير خلق سابق
إله أو لاحق . شئنا نخرج للوجود نخرجنا ، وأقبلنا إلى الدنيا
بدعا من الناس كما شئنا .

الجديد ! الجديد ! لقد لذنا بأكناف هذا الجديد ، نستمسك
بعراه ، ونشد عليه بأيدٍ شديدة . مستهترين به ، نولى وجوهنا شطره
دون تدبر ولا وزن ، ولا سبر غور . فكل جديد أمسى في عيوننا
شيئا جميلا ، ولو خالف الذوق ، وما تألفه الأمزج والطبايح ،

(١) جمع قيته بفتح القاف وهي الجارية المفضية . (٢) الخود بضم

الحاء جمع خود بفتحها وهي الشابه الناعمة الخلق .

ولو طعن الطرب في الصميم ، حتى لأستقر في نفوس ذوي تخاضة
الغصن من النشم الحديث ؛ والذين تقدموا صفوفهم ، وقادوهم
بأزمتهم ، أن من علامات الرقي وسمات التمدن ، الأخذ بكل
جديد ، والويل لكل مستعصم بقديم ، ولو أمتعت زخرفه ، وبهرك
حسنه ؛ وسحرك جلاله . بل صاروا ، ويا عجبا ! يتظاهرون بحب
الجديد ؛ ولو كرهوا ، لثلا ينهتوا بالتأخر ، ويوصموا بالانحطاط . . .
جديدهم هذا ، في موسيقانا سطحى ، لا عمق فيه ، ولا متانه
ولا طرب . قريب التناول ، لامن حيث البلاغة والمتانة ،
ولكن من حيث الركاكة والاستهانة . غريب على اسماعنا . خليط
من موسيقى شرقية وأخرى غربية . متنافر لأنه يحتال على اطرابك
بمختلفين ، ويروم التأثير في نفسك وذوقك بمتعارضين ، لحنين ،
هذا من نبع ، وهذا من نبع . اختلف مأوئهما ومسيلهما اختلافاً
شديداً . ألا تعجب لمختلفين يأتلغان ، ومتناكرين يتحابان ! . . .
ما جديدهم ، يا أخي ، الا انغام فرنجية ، في اللحن موسيقية ،
هى منها ثلاثة ارباعها ، وانغام شرقية هى الربع فقط ! لعمرك ،
ذا خلط غريب مريب . جديدهم هذا قد افسد روح الموسيقى
الشرقية ، والأغاني العربية ، فأغضب سلطانها على النفوس ،
وترا كض اليها كل مسترخ فاترا الهمة ، يستقرب الموارد ، ويستدنى
المطالب ، ويروم السعى من حيث يهون ، والكمد من حيث

لا يكون . فهو كالتجديد في الأدب الذي تتعثر به هذه الأيام .
فكلما ضاقت ذرع كاتب ، ولوى به استرخاؤه ، وكلمنا الفئ أن
الأدب ، كما علمناه ، في كل أمة تسامت إلى العلماء بأسا وحضارة ،
يتطلب من تورد موارده ، الفروض لاستخراج دزر اللغة العربية
وإدقان الاطلاع على كتب اللغة ، وبسطة العلم بأساليب البلاغة
العربية ، وإطالة السك في استيعاب علوم الأدب وفنونه ، ثم
يكون منع هذا قد تعلم لغة من لغات الغرب ، غدا إلى أساليب
هذه اللغة الأجنبية التي تعلمها ، يخلطها بأساليبنا العربية ، وأقبل
يخاطبنا بمذق عجيب ، ويلطم وجوهنا به على أنه تجديد !



الفصل الرابع

عبد الوهاب وشيعته

ألا ويح عبد الوهاب ومن تلاطوه من الاذئاب! لقد جنى على الموسيقى الشرقية ، والأغاني المصرية . انه زعيم هذا الجديد ، والناعر بهذا الجديد . لقد كان يوم نجم شأنه ، وهو لا يزال غلاما غرض الغصن ، كان يومئذ مصريا شرقيا ، يغنيك قصائد شوقى الغزليات الملاح التي كان ينظمها له ، فيسمعك المطرب الحلو ، ثم ما عثم ان استكره ان يكون مصريا شرقيا ، فراع الى الاوروبيين يسرق الحانهم ، ويسطو على موسيقاهم ، وينسج على منوالهم . فاذا انت تسمع منه تغسير الذي الفتته اذنك ، وعجمه ذوقك ، واستطابه حسك : موسيقى قد تنافرت اجزاؤها ، والحان قد تزايلت اوصالها .

على انها الحان لونها متشابه . صبغة لا تبديل فيها ولا تغيير . مجرى جامد ممل مسم . ونسق مطرد على منوال لا يحور ولا يبور . وذا ما يمبر عنه الفرنسيون بكلمة (MONOTONE) ، أى من نظم واحد لا تنوع فيه ولا اختلاف تتناسق اجزاؤه به واشكاله ، ومع هذا التشابه وهذه الملالة ، التي يحتمل فيها على الاسماع — وكأنه يدرك ذلك ويحسه في نفسه — بتغشيتها ، تمكيننا للسامعين

من استماعتها ، بما يحشو أجزاء القطعة التي يلحنها ويشحنها شحنا
 بوصلات موسيقية طويلة مسترسلة ، ولو ازم ذات تعاريج والتفافات
 كثيرة على عزف عدة آلات فرنجية ؛ قلنا مع هذا التشابه وهذه
 الملاله في الحانه ، تتطابق منها ومن صوته الذي كأنه خارج من
 جوف قبر ، كآبة تغمك وتقبض صدرك كأنما أخذ بين فكي
 كلابتين . الرجل حزين باك ، مع أنه يتمرغ في السترف وكنون
 المبال التي لا تحصى . لا يفتأ يندب وينوح ، فكأنما إذ تسمعه
 تسمع أغاني ماتم ، ولكننه ماتم فرنجي عربي !

وإنه ليتولاك العجب أن وزارة الشؤون الاجتماعية ، حين
 أرادت تلحين قصيدة شوقي في (السودان) لم تجد أمامها من
 الملحنين إلا السيد عبد الوهاب ! فخرجت القصيدة السعيدة بناظمتها
 المنكوبة بملحنها ، خرجت بتلحينه نشيداً عجيباً . تسمعه فتشده
 ويعتريك ذهول ، وما يشبهه الدوار برأسك . فلا تعي ولا تدري
 ما تقول . هي تلك السكآبة وذلك التشابه الممل غشى ذلك النشيد
 وزلزل به ، فولد على يديه ميتا وعاش ميتا . إلى أن بهت حيا
 بتلحين آخر وبصوت آخر هو صوت أم كلثوم .

وسموا هذا الجديد المقلوب الغريب . وما أبدع ما نعتته به صاحب
 العزة الأستاذ الكبير خليل بك ثابت رئيس تحرير المقطم ، في كلام
 له عن هذا التجديد ، فسماه « بالاحاد الفنى » قلنا سموا هذا الجديد
 بمدرسة ؛ ويعنون مذهبها ، هي مدرسة عبد الوهاب . والتحق هذه

المدرسة اشائب (١) من ادعياء الموسيقى ، ولغة من الراضين
المتطفلين على فن الغناء الشرقي . ومنهم نفر من الفتيان تلقوا
قشورا من علم الموسيقى في معهد الموسيقى الحسكي ، او في مالا تدرى
من معاهد اخرى ، او اصابوا قدرا صالحا ، وربما احرزوا الشهادات في
علم الموسيقى والغناء ولكنهم لم يجدوا وظيفة او عملا ، او بجالا
يجولون فيه بعلمهم ، فراحوا يتطارحون على القيان المعروفات
(بالعوالم) ، يعملون مهنة (كصبيان) او (سنيذة) ، فهذا
قد التحق بواحدة ، وآخر باثنتين او ثلاث ، فلا يمضي عليهم قليل
حتى تراهم في احسن زينة ، وأعجب شارة ، عاليهم فاخر الرياش
واغلى الثياب ، وجيوبهم بالدرهم عامرة ، متمرعين في اللهو ،
ناعمين باللذات في صحبة هؤلاء العوالم ، عامرة نفوسهم بما اشتبهوا
بما ذكرنا لك ، الامن العلم المتين ، والامن الرجولة ، والكرامة .
وتجد الذين اخذوا قسطا موقورا او ضئيلا من علم الموسيقى
في المعاهد أو ما مائلها ، من النشء الجديد ، من الآلى لم يعيشوا
في القديم ، ولم يتذوقوا طربه ، ولم يدركوا غوره وامتداده
ونسلطانه ، قد اقتحمهم الغرور ، فظنوا في انفسهم العلم ، وخالوا
انهم اوتوا ما لم يأتهم الاوائل . كل اولئك على اصنافهم التي فصلناها
لك ، هم الذين تتألف منهم هذه المدرسة عبد الوهابية ؛ هم انصار
هذا الجديد ، ولا سيما الآخرين الذين اصابوا من علم الموسيقى
شيئا قل أو كثر ، فقد قلدوا عبد الوهاب في غنائه ، وحنوا مثله

(١) جمع أشابة وهي الاخلاط والجماعات

الحانا اجتذوا فيها حسنوه ، اقمموا فيها الانغام الفرنجيه
وخلطوا فيها تخليطا شنيعا سموره بالجديد

وان هم اسموك ، مع هذا ، فناء مصر يا خالصا ، ولحنوا
لك موسيقى عربيه شرقيه خالصه من هذا الخلط الفرنجي الذميم ،
لم تجد لغنائهم طعا ولا طريا ، ولا لتلحينهم ذلكم الاطراب الذي
يستحوذ على سمعك ولبك ، ولا لتلحينهم تلكم الروعه التي اتسم
بها القديم وسحر . وانما هو تلحين متشابه ، تافه ، الا ما قل منه
وندر ، فنه ركيك وصنفته غثه من رجاة .

يا هؤلاء ، انما اتم اخوتنا وابناء عمنا ، وعرب شوقيون
مثلنا ، فاقصروا وانتهوا ، واقبلعوا عن هذا الضرور والضلال
ما بالكم ، وانتم منا ونحن منكم ، قد ركبتم رؤوسكم ، وخبطتم
العشواء ؟ فهلا علمتم ان كل امة هي بذات موسيقاها اولى ، وبالحنانها
واذواقها احق ؟ وان كل امة وما طبعت عليه ، وما ركز في فطرتها ؛
وما اتم براديهاعن ذلك ، ولو بدا لكم انكم نجحتم ؛ فما نجاحكم الا
سحابة صيف وتنقشع . تلك سنة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة
الله تبديلا .

انكم ، وما تجمعون من جموعكم لستم بمعجزين ، ولن
تستطيعوا الاستمرار في باطلكم . فان للباطل جولة ثم يضمحل .
ومحال أن تؤلفوا بين موسيقى شرقيه فحلة فخمة مطربة وبين موسيقى غري

تقتصر عن مجاراتها في الطرب وعمق الاثر، واتساع الشجان، وقوة النفوذ،
وان كبرتم - وباليتكم تكابرون في ما هو لكم، لا في ما هو لغيركم، ولو
بالباطل مظاهره لتراتكم القديم ذي الجلال ومناصرة لقوميتكم وعصيتكم
فان ذلك اكرم لكم واعز - ان كبرتم، قلنا، فلهوا وموسيقاكم الغربية
بكل آلاتها ماجاد منها وعلمت صناعته، ودعوهما سمعنا، اذ تعرفون
عليها، موشحاً شرفياً عربياً من بدائع موشحاتنا مثل (حبير
الافكار بدرى) أو (كلى ياسحب تيجان الريا) أو (ياغصن نقا)؛
أو دوراً من ادوارنا القديمة المعجزة، فنا واطراباً، مثل (مليكي
انا عبدك) أو (متع حياتك بالاحباب) أو (تهك على اليوم بسنين)
أو (فؤادى أمره عجيب)، يومئذ تبيض وجوه وتسود وجوه .
أجل . إنها لا تستطيع، ولتعجزن عن أداء ذلك أداءً دقيقاً صحيحاً؛
اذ ليس سلم الانغام الفرنجية بندٍ لسلم الانغام العربية، ولا سمعة
الانغام الشرقية تدانها ضالة وقصور الانغام الفرنجية. فان الضيق
من السمعة . وما حملكم، مع هذا، على خلط مالا يختلط، وجمع
مالا يجتمع؟

الا ان كل من يعمل على توهين ادبنا، وهلهة اخلاقنا،
وإضعاف لغتنا، وافساد موسيقانا، انما يعمل مع المستعمرين،
انما هو ولى اعداء الاسلام؛ انما ضلعه مع اعداء العربيه؛ انه
دسيسة من دسائس المستعمرين، وآلة من آلاتهم، كما فعل الانجليز

بجائزة الهنود ، فجهلوا لغتهم وصرفوهم بزمام التسخير كالانعام ،
وكما فعل الفرنسيون بفرنسة المغرب والجزائر ، فجهلوا لغتهم العربية
وضاعوا في فرنسا حينئذ من الزمن ، اذ نهضوا اليوم مع الناهضين
من شعوب العربية لاسترداد استقلالهم وعزتهم .

ألا فليعلم هؤلاء الذين تسموا باصحاب الجديد ، انه مادامت
فيما نعمة القومية عالية . ومادما مستمسكين بعزة الوطنية ، ونحرق
اللغة العربية ، وقوة الاخلاق الشرقية ، فالمستعمرون لا يجدون
الينا سيلا . فمن ذا الذي اصارنا الى ان نسمع قطعا موسيقية
مصريه ، هي فرنجيه صرفه ، توهن قوميتنا ، وتدججنا في الاجانب
نسمعها كل يوم في المذياع ؟ ومن ذا الذي وضع لنا هذه الالخان
الفرنجيه الصرفة في ثوب كلام عربي ، من أمثال (يا عاشقين الورد)
نسمع كلمة (يا اول ياقل) تتكرر فيها كثير امضحوبة بأهات فرنجيه
بحته او (يا زهرتي اشوفك دبلانه) وليعذرنا القاريء الكريم ،
اذا كنت جاهلا لامثال هذه الالخان . فاني اضرب بينها وبين
سمي سدا منيعا . فلا اذكر منها الا هذه العبارات التي اوردتها لك
من هذا الذي لحنهما ، وما شابههما ، ليفسد اذواقنا ، ويجعل النشيد
الجديد من اثائنا ، لا يسمع ولا ينشأ الا على مثل هذا الفساد والشين
المستطير ، فتضعف اذواقه وتميت فيه عزته ووطنيته ، وتدججه في
المستعمرين والاجانب .

ألا أن هذا لبلاء داهم . إن هذا الحميد يجب محققه وإيادته
وإستشصال شأفته ، إلا أن يكون جديداً من نبع القديم ، موصولاً
منه بسبب . لعمرى لقد كاد قديماً الفحل المطرب يغيب عن
اسماعنا ، ويهجر هجراً ، رهينة لحد عميق . ذلك القديم الحاشد
بالطرب ، طرب جليل ولطف وهز الأفتدة هزاً . ولولا القليل
الضئيل مما نسمعه من المنتمين القدامى الفحول أمثال صالح عبد الحمى
وأبراهيم وعزيز عثمان ، ومحمد البحر والخولى والشيخ زكريا ، لحسبت
القديم البديع قد طمس وغيب فى الرمس .



الفصل الخامس

الفنان يهمل لفنه لا للمال

لأنعنى بالفنان كل من اتخذ الفن حرفة ومرزقا، أو من أجاد فيه وبرع، وإنما نعنى به الصادق المصطفى، ذلك الذى أخلص للفن، وجعله همه وشفغله. هو هدفه وهو غايةه وهو حياته. هو ذلك الذى جرى الفن فى بدنه وتغلغل، فاستحال فيه دما وأعصابا وعظاما ذلك الفنان المبقرى الملهم، ان أفقره الفن علقه، وان أشقاه لهج به، وان ابتلاه تبعه ولزمه، وهممت بذكره شفغته. يلقى ما يلقى فى سبيل فننه من حسد الحاسدين، وكيد الكائدين وبهتان المتخرصين، وعداوة الشائئين، وظلم المتجنين، فلا يخذله ذلك ولا يقعد به، ولا يحمله على هجر فننه، أو الفتور عن التفانى فى حبه والابداع فيه ما شاء له الابداع أن يبدع.

الفنان الحقيقى لا يأبه للمال، ولا يحفل بالفنى، ولا يكترث لاكتناز الذهب والفضه، بل لتجدنه يبذل المال بذلا فى سبيله ويضحى من أجله بما ملكت يمينه، إذا حق عليه ذلك، ورأى اما عليه اعلاء كلمة الفن على الدنيا وما فيها.

الفنان المصطفى علوى سماوى، لا سفلى أرضى. النفسيات فى

ميزانه أرجح كفة من الماديات . هو للفن وفي الفن . وان أقبل عليه دهره ، فأوتى مالا ، وأصاب ثراء ، لم يبظر ، ولم يفتر عن فنه همة ودأبا . ثم تراه بماله ندى الكف مبسوط الراحتين ، يهود به على ذوى الحاجات ، لاضئينا ولا مقترا . ذلك أن الفن الصريح المصفى يطير بالنفس إلى عليين ، ويسمونها سموا كبيرا .

روى الراون أن عبده الحمولى ، وكان مطرب الخديو اسماعيل ونديمه ، أثير أعنده مكرما ، أطر به ليلة فى مهر جان افتتاح قناة السويس وكان حضرها الوزراء ووجهة رجال الدولة ، حتى أخرجه عن ظوره فلم يتمالك الخديو اسماعيل ، وهو فى نشوة طربه ، ان قال لعبده يا عبده ! تمن على ما شئت . فتمنى عبده ، ولكنه تمنى عجبا ، تمنى ما لم يكن فى حسابان أحد قال : يا مولاي مر بالميرالاي محمود بك طاهر ، وكان غضب عليه الخديو اسماعيل . لو شاية به ، فنفاه إلى مصوع ، بأن يعود إلى وطنه وعياله . فتعجب الخديو اسماعيل وبهت الذين حضروا المجلس . وانما هم الناس المال وزينة الحياة الدنيا . فما كانوا يتوقعون أن يطلب عبده الحمولى من مليكه غير المال والعقار . انه لو شاء فى هذه اللحظة التى حانت ، والفرصة التى وابت ، لجرى المال بين يديه نهدا دافقا ، ولكن عبده كان فتانا عبقرى ، كان فتانا علويا ، له نفس قد صفت وتسامت فوق هذه النفوس البشرية . إنه يطلب شيئا خالدا كريما ، انه يطلب

ما فيه غذاء نفسه الصافية ، وفنه الذي بلغ السيل الثال الأعلى . وما حاجته إلى مال يذهب مع الريح بذهاب صاحبه . وما كان ذا أثره يهضم نفسه بالخير دون الناس . فلم يكن من الخديو ، وقد ألح عبده في أقناعه ببرامة محمود بك طاهر ، إلا أن أجاب طلبه ، ورد الميرالاي إلى وطنه وعياله .

وقد حدثني الأستاذ أحمد سبيع العواد القديم المعروف ، عن طبيب الذكر المبدع علي قانونه ، محمد العقاد ، وكان من خاصة عبده الحمولى ورجال تخته . قال : روى العقاد ، انه ، بينما كان عبده يوما ينتظر في مقصف محطة حلوان ريثما يلتئم عقد رجاله ، ليضئ إلى حفلة عرس في تلك الضاحية ، ليهز أوتار أنفسها بسحر فنه المعجز إذ دلف إليه رجل حسن البزة ، جميل السربال ، فاكب على يد عبده يروم تقييلها في هيئة الأكارو والتوقير الشديد ، فقبض عبده يده مسرعا ، حياها وتواضعا ، ثم تمنحى الرجل شيئا قليلا اجلالا واستحياء . فتعجب عبده ، وظن أن بهذا الرجل خصاصة ، وانه وافد إحسان ، يلجمه الخجل وتصدده نخوة نفسه عن الطلب . فصير عبده ايده في جيبه ، وكان كل ما فيه ساعته خمسة جنيهات - وتلكم الخمسة ، مع ذلك ، ياسيدى القارىء الكريم ، بمنزلة خمسة وعشرين جنيا من جنيات أيامنا هذه المنجوسة ! - فدفعها إليه خفية . ولكن الرجل رفضها قائلا : ما أنا ياسيدى بسائل ، ولا أتيتك مستجديا . إن انا إلا تاجر كبير فى

الاسكندرية ؛ ولكن حلت بي أزمة ، وعلى بروتستو بمبلغ جسمي
لا يحصى من قضائه غدا ، والا ضرب على الافلاس والدمار . فما
شخصت إليك إلا مؤملا لفضل مسعاك لدى أصحاب هذا البروتستو
بما لك من جاه وكرامة ، أن يؤجلوني الى يومين ، أكون قد دبرت
المال فيهما . قال : فبش له عبده وهش ، وعزم عليه أن يجالسه
ودعا له بشراب وأكرمه . ولم يلبث أن التفت بعبده رجال تحته ؛
فعزم على التاجر أن يصحبه إلى حيث يشركه في نعيم طربه . فلزمه
الرجل إلى أن بلغت الحفلة غايتها . فنادى عبده صاحب الفراشه ،
وأمره أن ينقل هذا النضد ، وما يحوى هذا السرادق الفخيم من
زخرف وآنية وقدر ، إلى دار ذلك التاجر في ثغر الاسكندرية
ليلة الغد . ثم عزم على التاجر أن ينزل في قراه وينعم بنزله في تلك
الليلة . ولما شق الصبح عنه سر بال الليل ، سعى عبده سعيه لدى
أصحاب البروتستو ، فلبوا الطالب وأجأوا إلى يومين . ثم شخص
الفنان العبقري عبده مع التاجر إلى داره في الاسكندرية ، حيث
أخذ السرادق زينته ونصب المقصف الجامع لما لذ وطاب من طعام
وشراب . ودعا عبده من شاء من أمراء ، ووزراء ، وأعيان
الاسكندرية والقاهرة إلى حفلاته تلك التي تبرع للتاجر بأن يغني
فيها مع رجال تحته تلك الليلة .

وما أن انعقد الجمع ، وسمعوا السحر الحلال ، وطعموا

وشر بوا ، حتى طاف بهم عبده ، يأخذ من هذا العشرين ، ومن
 ثمان الخمسين ، ومن ثالث المائة ، حتى إذا صر لها يمينه الودفا من
 الجنزيات ، سلمها للتاجر ، ففقد دونه ، ودفع عن تجارته وبيته
 ما كان مني لها من إفلاس ودمار .

وقد أعجبتنا كلمة نطقها الأديب المفضل الأستاذ قسطندي رزق
 تحت عنوان (عبده الخولي . هل يبحث من قبره) نشرتها له الأهرام
 الغرام في التاسع من أغسطس عام ١٩٤٧ جاء فيها قوله :

« كان عبده يخدم الفن للفن في حياته التي لم يسأل فيها فوق
 الكفاف ولم يطلب منها أكثر من البلاغ بالرغم من اغداق الخديو
 اسماعيل عليه من لامع النضار ما لا يأخذه الحصر على خلاف بعض
 المجددين الذين هووا على الأسماع بالسخيف من التلاحين المستمدة
 من بيئة غير بيئتنا فهدمت أركان فننا الشرقي وشوهت محاسنه ولم
 يرموا في أغانيهم إلى المثل العليا بل كان هدفهم تجاريا وماديا غير
 مراعين أن العرب قوم إذا صبح بهم انتهوا . وكثيرا ما أذرت
 في كتابي « الموسيقى الشرقية » وعلى صفحات الجرائد ، هؤلاء
 المجددين بما سيلاقون من سوء المنقلب

وبما يذكر هنا اني سمعت عبده يغني مذهبا فذهب بعقول سامعيه
 وصعد بهم إلى المراتب العلوية وقد تجلى عندنا الذي لم تفتح العين
 على مثله فوق التخت ، ولما نزل عليه الوحي حول وجهه صوب

السماء وكانى به يخاطب ربه باسما يديه لعظاته وصباح منشدا
 « يا سيدى ما تنعم أنا عبدك راجى عفوك » والغرض من إيراد
 ذلك هو أن الفن روح لامادة وهو ساكن فى الروح وغير منفصل
 عنها ومصدره السماء . »

وكامل الخلقى الذى جن من علم الموسيقى وفن الموسيقى ، إذ
 غاص فى بحورهما ، وخاض فى بلججهما إلى الأغوار ، فألقى فيهما
 بما أتى من بديع التأليف الموسيقى ، وعجيب التلحين ، ولقى ما لقي
 من الضر والبؤس ، وعضه الفقر المدقع ، فامسى هائما على وجهه ،
 طريد الفاقة والمخمصة . حتى إذا رأى أن قومـه غمطوا حقه ،
 ووجدوا فضله ، فتنافوا عن حاله وسوء مآله ، وأخلوه لما هو
 فيه من كبد ولأواء ، راح إلى صنوق ظلاء الأحنذية ، فأعتضده
 وجمال فى شوارع العاصمة ومقاهيها يمسح أحنذية الناس ويلعبها .
 وكان بعض عارفى فضله وعليه إذا طلال له حذاءه ، ناوله على
 المسحة ربع ريال أو نصف ريال ، فيمتنع ويشمخ بأنفه عزة
 وكرامة ، ولا يأخذ إلا نصف القرش فقط !

وروى لنا الرواة الذين عايشوه وعاشروه انه ، أيام كتب عليه
 الزمان ، وعضه البؤس بنا به ، وضاق ذرعا بنضوب جيبه حتى من القروش ،
 هام على وجهه يمتسف الطرق إلى أن انتهى به المطاف إلى الشيخ
 سلامه حجازى ، فشكاه فاقته ، وبشه حاجته ، فناوله جنيتها ،

فخذنا به كامل متبالا . فلقني صديقا له فترافقا في الطريق . وعرض
لهم بائع عرقسوس . فناداه الخلعى واستسقاها قدحين له واصاحبه ،
ثم أخرج الجنيه من جيبه ؛ فدفعه للعرقسوسى ، ليأخذ القرش
ويرجع له الباقي ؛ فدهش البائع . وهذا مادار بينهما :

قال العرقسوسى : ايه ده يا عم ؟

— جنيه

— جنيه ا

— أوى

— جنيه ا جنيه ا . . . بتقول ايه يا بيه ؟

— باقولك جنيه .

وكاد العرقسوسى ينجن ، وظن فى كامل الجنون ؛ وهو يسخر به
فصاح فى الخلعى صيحة الألم والعجب قائلا :

— يا عم جنيه . . . هو أنا شفت جنيه طول عمرى ا .

— بتقول ايه ؟

— باقولك ، ماشفتش الجنيه طول عمرى .

فما كان من كامل الفنان العبقرى ، والموسيقار البأس الا أن

قال وقد اخذته رقة على الرجل :

... ماشفتش جنيه طول عمرك ! ... طيب .. خده .. هو

لك يا عم حلال بلال .

وتركته كامل وانصرف مهرولا مع صاحبه ، والعرقسوسى
يصيح كالجنون :

ياسيدنا . . . يا فندى . . . يا بيه . . . تحالى خسد الجنينه
بتاعك وادينى قرشى . . .

ولسكن الرجل كان ينادى غير سميع ولا شهيد . لقد كان كامل
قد اختفى عن عينه ، متخليا لهذا العرقسوسى عن الجنينه ، الذى
انما احرز به شق النفس ، ومعاناة الجوع والبؤس ، ذلك أنه أكبر
أن يكون هذا الرجل اعلى منه درجة فى الفقر ، وأن يكون لم ير
جنيتها فى حياته !

وحدثنى الأستاذ احمد سبيع عن الموسيقار والملحن العبقري
المأسوف عليه داود حسنى ، انه عاينه مرة ووجهه إلى جدار فى
شارع محمد على ، وظهره إلى المارة ، عاكفا على نفسه ، كأنما
هو نزيل قفر خلاء من كل ذى حياة . فدلف إليه متعجبا حتى داناه
فرصد له من خلفه ، فسمعه يلحن (دوراً) من أدواره البديعة
المعجزة ، حتى إذ زجل بقطعة من تلحينه ، فرج شفتيه عن ضرورة
عبر بها عن عدم رضاه بصنعتها وقلة تطربه بها ، فضحك الأستاذ
سبيع مما رأى وسمع . وأشعر الفنان داود بوجوده ، وتصالفا
وتضاحكا بما كان منه .

فانظر يا أخى صنع الفن العظيم بأهله ، كيف يسلبهم عقولهم

ويعلمك عليهم أقطار تفكيرهم ، ويسمو بنفوسهم حتى ليناطحوا
السيك الأعلى ؛ مع ما يبشرونهم من جهد وبؤس ، إذ كاد داود يكون
مفقيراً . أن أمثال هؤلاء الفنانين انما عاشوا للفن ، وماتوا في الفن
فهم خالدون ما تخلد الفن في الناس .

كذلك كنت ترى رجال الموسيقى العربية القديمة ، والغناء
الشرقي البديع . أما موسيقيو هذه الأيام النكدية ، وأدعياء التجديد
فهم صنف غريب ، وفئة عبادتها المال ، وعكوفها على اكتناز
المال . ففهم خداع وتزييف . يجرّون حبل الضلالة . ويعتسفون
طريق المتاهة . أهل تجارة . يبغون عرض الحياة الدنيا . يريدون
اصلاح دنياهم بمحق فنهم . همهم أن يكثر ثروتهم ويتمرغوا في
الترف والمناعم . ولسوف تُسلمهم بطنتهم إلى التلف ، إذ آخرتهم
إلى خمول وفناء لو كانوا يعلمون !

— وباليتهم ، مع هذا الثراء الفاحش ، رجاء أسخياء ؛ ولكنهم
دخلوا إلى أموالهم يكثرونها ، وكلما ربت في خزائهم طربوا لها .
فما تجدهم يبض حجرهم ، ولا تندى يدهم بدانق المعوز ، ولا ذى حاجة
ولا ذى علم وفن ، ولا لمشروع صناعى وطنى ، ولا لعمل خيرى .
قيل أن مصلحة الضرائب طالبت عبد الوهاب بألوف من
الجنهيات ضريبة على أرباح كنوزه ، فقاضاها محتجا بغلو الضريبة
فحكمت له المحكمة بتخفيض الضريبة ، فاذا هي بعد التخفيض ،
والعهدة على الراوى ، ستة عشر ألف جنيه . . .

ومثله أم كلثوم في فن الحرص على المال واكتنازه ، مع
امسالك شديد ، وقبض اليدين دون من يستحقون الإحسان
والمهونه ، ولو من أهل الفن ، ورجال الموسيقى عن دابرهم الحفظ
وانقلابوا إلى بؤس وضر شديد .

والذي سمعناه أن أصحاب الحفلات التي تغنى فيها أم كلثوم ،
ينقدونها في الليلة التي تغنى فيها ساعتين أو ثلاثا ، خمسين وثلثمائة
جنيه . وقيل لنا انه لو أحد الأهالي طلبها للغناء في عرس له ،
فعرض عليها ثلثمائة جنيه ، تعسرت وابت !

أولئك الذين حدثناك عنهم من القدامى ، هم أصحاب الفن
الحقيقي المتسامى ، والأغاني الشرقية القديمة الفحلة الساحرة ؛
وهؤلاء هم أصحاب هذا الجديد ، وأدعياء التجديد (مثل الفريقين
كالأعشى والاصم والبصير والسميع : هل يستويان مثلا أفلا
تتذكرون .)

الفصل السادس

الطرب القديم

كان للطرب القديم بهيئته ورواؤه . وقد مدَّ رواقه ونصب سرادقاته
 في انحاء هذا البلد الطيب ، وعطر أرجاءه بأرجه ، وارتقى الوادي
 برنات أوتاره وطربه . ولاغر وفهوم صبغة ناسه ، وناسه من
 صبغته : كلاهما في طبيعة المرح ، ولطف الذوق والطرب
 عم الوادي ذلكم الطرب القديم ، وأظل الناس بأفياض أخصائه
 يغبقون من كاسات تطريبه . بعد الصبوح . فكنت تجد الطرب
 قد نثرت حبات عقوده في طرقات القاهرة وأمهات المدائن المصرية .
 اينما سرت تلقاك زجله وترقيصه : الافراح والسوامر في كل حي ،
 وفي دجى كل ليل . يطرب فيها فحل من فحول الغناء وغريد من بلايل
 الموسيقى في ذلك العهد : فذا سرادق عرس ، وذاك حفل موسم أو عيد ،
 وثم حانة لهو . تسمع هنا عبد الحى حلى ، وهناك يوسف المشيلاوى ،
 وفي حى سالم المعجوز ، وفي رابع السبع ، وفي آخر عبد البارى . وطُفُّ
 ما شئت ، واذكر من شئت من أعلام الطرب القديم ، وفحول فنه
 فأنت في غمرة من هذا الطرب القديم ونشوة قد ملأت حوائك
 واذكر إلى هنا ، حانات وملاهى وجه البركة ، وروض الفرج
 وقهوة البوسفور ، وحديقة الأزبكية . واذكر حانات اللهو

خصوصاً في وجه البركة : الهمبراء، ونزهة النفوس، والف ليلة، وكانت في ميدان العتبة الخضراء، ومكانها اليوم سينما رمسيس، كنت تسمع فيها مشهورات القيان في الفن والطرب القديم كاللواندية، والحاجه السويديه، وبهيه، وتوحيديه . كان الطرب يطربك وان لم تطالبه، ويسعى اليك وان لم تسمع اليه بقديم .

أما اليوم فقد اذهب هذا المدياع بهجة ذلك، وسلبنا متعه ولذاته . تجسد المغنين محصورين في حجرة الاذاعة بين جدرانها الاربعه، مرتين بميعاد مضروب، ونصب عيونهم علامات منذرات بحر طمان، هذا نصف ساعه وذاك عشر دقائق، كأنه في حصة مدرسه... فكيف، ليت شعري يستكمل هذا الذي يغنيك، طربه، ثم اطرابك؟ زد على هذا، وانه للطامة الكبرى، ان هؤلاء المغنين والموسيقيين الذين تسمعهم في الاذاعة، كلهم الا قليلا . كالكحل في العين، لا يسمعونك الا هذا الجديد المقاب المتنافر بخاطره بالانغام الفرنجيه أو بجديده لم يخلط، ولكنه تبار من الجمال، محروم من الصنعة البارعه خشبيته قنرة من سمآه، وتشابهه ايقاع . هذا ياسيدي، هو ما يسمى طرب المدياع، طرب نحل من الشعور والاهمام، الا قليلا . طرب آل، أو كما يقولون (ميكانكي) اويابح هذه المدينة الاوروبية كما امعنا فيها، زادتنا نأيا عن الفطرة السليمه، ومروقا من تقاليدنا الجيئة، وارهاقنا انفسنا واحصابنا فيه العذاب، والبلاء وكانوا يعلمون، وهو كذلك ذواثر بايخ، وساطان مبين، فاست تملك قباد نفسك

ولالك الى ضبط اعصابك، وتسكين ثائر عواطفك من سبيل. وكأنا هو
موج اصابعه في سويداء قلبك، وأغوار نفسك، يعبت بها، ويبسطها
ويطويها كيف يشاء.

وهو صنعة رائعة وفن متين، فالوشح والدور القديم ثروة
من عجب الصنعة وافان التلحين، كجلاود صبر رصفما وحسن
صياغة، لا يغنيهما الاشيخ من شيوخ المغنى، ولا يدرك كنوز بدايتهما
الا قطب من اقطاب الموسيقى، ولا يجد جلا وسطانا على انشادهما
والاطراب بهما، والجران في انقلرها الا تارس مغوار من
قرسان ذلك الميدان.

وانه ليبلغ هذا التقديم من عاى وسحر الطرب. غير اننا نرى
الصوت الجميل، لم يكن المطرب الكبير محمد عثمان جميل الصوت بحال عبده
الحولى والمظ في ذلك العهد الزاهر بهم، ولسكنه كان يأخذ بناصيتك
ويسحرك، على ما حدثنا الشيوخ من سلفنا الذين حضروا، فتعجب
واطربا! وواعجبا! ذلك ان ادوارها التي كان يلحنها وينفيها، عظمت
بالفن، وتغيت بما يكسوها من بديع الصنعة. وبهرت بما يحشد فيها من
روائع الطرب. وكل القديم ذلك الشأن، وعلى هذا المنوال.

ولقد سمعت ليلة عرس، الاستاذ الفنان الكبير داود حسنى على
تخته، هو المغنى وهو الضارب على العود. وكان داود يكاد يعد من
ذوى الاصوات غير المليحة. وأقسم أليّة شريف صادق، ان صوته

أيتشد عد من أجهل الاصوات . وكان فنه الرائع في صورته ويزهره
 وطرِباً نشاده، يقع على الآذان كالسحر الخلال. أظرب واضرب،
 حتى لتسنى الناس الليل يطول، وأن الغدلا يطلع عليهم كما قال الشاعر العربي
 قلت عدأ يوم سواه وما بقي من الدهر ليل يحبس الناس سرعدا
 استمع ياسيدى القارىء المنصف إلى مو شح من ذلك القديم -

وقل ان تسمع في هذه الأيام المنحوسه عجيب فنه، وبلايا طربه -
 أو دوراً مما كان يصدق به عبده الجمولى، أو محمد عثمان، أو يوسف
 النيلوى أو عبد الحى حابى أو سالم العجوز، ومن اليهم من شيوخ
 الغناء القديم، وفرسان الموسيقى الشرقية الكريمة غير الطحينه، ثم
 استمع إلى قطعة من صنع هذا الجديد المسوخ، وبعثنى بلسان
 وجدانك، وسابقة من اجلك وطبعك، أين كان طربك، وأين كان
 ميلك مع الأنغام كل مذهب، وأين كنت مسكر انك وما شربت من
 استمع ياسيدى القارىء المصرى الشرقى، السلام الخلد، إن
 كنت قد تغرد هذا الجديد لسوء الحظ، ولم تستمع إلى القديم،
 دور (فؤادى أمره عجيب) من نعمة الرصد مثلاً، أو (بالعشق قاي
 من نعمة بركة تلحين الموسيقى قار داود حسنى، أمير باشر دارى
 تلحين) من نعمة نهار تلحين الموسيقى قار إبراهيم النصارى، استمع
 هذه الأدوات، وما تضرب إلا مثلاً قليلاً من كثير يملك أفئدة السامعين،
 اسمعها من اسطوانة إذا وفقت، أو اسمعها من أحد رجال الفن
 القديم موسيقيين أو مطربين أو (مذهبية) مرجوا متفضلاً، لكي

تنصرتنا على هؤلاء الزاعمين التجديده، أو تنجو بنفسك وسمعك من شرهم وطغيانهم، فإنك تسمع الفن في معجز بدائه، والتلحين في غرر أفانينته، والطرب في ذروة تطريبه، والموسيقى الشرقية في اسمي ما تسمو اليه، وافسح ما تجول فيه وتصول من المرقص المشجى وليس السمع كالعيان، ولا الخبر كالخبر .

بل اسمع أم كاثوم حين تنشدك مثلا (وحقك أنت المني والطلب) وهي قصيدة من الأدب العربي العالى، كما كان ينشدها الشيخ أبو العلاء أو (أراك عصي الدمع) وهي فيهما، حين تنشدهما، مغنية من فرسان المغني الشرقي الصريح، تملأك طربا واعجابا، واسمعها هي نفسها، حين تنشدك أي لحن من هذا الجديد، ولا سيما الذي أدخلت عليه الأنغام الفرنجية، مما يؤلفه من أجلها الأستاذ القصبجي، ومن جرى مجراه - وقل لي بحقك، أيهما أنت به مترشح طروب، وابن الكفة من الكفتين رجحت على الأخرى رجعتنا كبيرا، فأنت لسماعها متقاد طروب؟

بل اسمع عبد الوهاب نفسه الذي جنى ما جنى على الموسيقى الشرقية، والأغاني العربية بجديده هذا الممنوخ المجهين، أسمعه حين كان في حدائق أمره ينشدك قصيدة شوقي العظيم (تعالى نغم تنسيتنا لمراما) فيأعب بابلك، ويلا نفسك طربا، واسمعه اليوم في سحنك جديده، فتعلم أنه جنى على نفسه قبل أن يجنى على موسيقانك

وأغانينا ، فظلم نفسه بهذا الجديد ، وسقط من عاو الى حفصين .
ويعدو على كل أمرىء ما يأتى .

على أن الحق هو الغالب ؛ وهو الدائم الباقي ، وما الباطل الا جولة
ويضمحل . لقد عاد الحنين إلى القديم ، وطرب القديم ، واخذ
الناس يفتقون من هذا الذى غشيههم ، ويشنأون هذه الفوضى الموسيقية
الغنائية . واليك ما نقشه قلم الأديب الفاضل السيد حسنى كنعان
من مدينة دمشق ، ونشر فى مجلة الرسالة لصاحبها الأديب الكبير
الاستاذ الزيات فى العدد الصادر فى ٢٠ ابريل سنة ١٩٤٧ تحت عنوان
(الموسيقى القديمة والحديثة) قال :

« لم يكاد يطلع القراء على المقال البليغ الذى دمجته براعة
الكاتب المفن الاستاذ عبد المنعم خلاف حول المفاضلة ما بين
الموسيقى القديمة والحديثة ، وما تركته فى نفسه تلك القصيدة الفذة
« ساورا قاي غداة سلا وتابا » للأنسه أم كلثوم من الاثر البالغ حتى
تناقلت المقال الايدى وتعاورته ، وكان له الوقع الحسن لدى
المنصرفين إلى هذه الصناعة من أعضاء الاندية الموسيقية فى الشام ،
إذ عرفوا أن فى مصر نقمة على الموسيقى الحديثة الرخيصة المبتذلة
تحكى النقمة عليها فى سائر أقطار العروبة ، وعرفوا أن فى مصر حنيننا
إلى الموسيقى القديمة لما فيها من روح الطرب الصادقة والفن العربى
السامى الذى يلد المسامع ويستهوى الأفتدة ، ويأخذ بمجامع القلوب »

ثم قال :

إن البلاد العربية التي تصدر في موسيقاها عن الديار المصرية
ليعز عليها ويسوؤها أن يتردى الفن في مصر إلى هذا الدرك الذي
يعلن عن نفسه بمظاهر القنوت والتخنث والضعف، وتود من صميم
أفئدتها أن يلهم القائلون على هذا الفن في مصر، الرجوع به إلى القديم
مع اقتباس النافع الجميل من الحديث، ذلك لأن حديثنا اليوم قد غمر
فؤوسنا وكاد ينسينا قديمنا، فإذا لم توفق مصر، وهي زعيمة العروبة
اليوم إلى هذا الذي نرجوه، فإن ترى في الجيل الجديد إلا مضيعة
للفن وأهله واننا لنشاهد اليوم بوادر هذا التضييع منذ بدأنا نكلف
آذاننا أن تستسيخ الانغام الشعبية على ما بها من تبدل في المعاني
وحطة في الفن هر با بأنفسنا عن سماع المقطعات الحديثة الجافة ..
وهنا يجدر بنا أن نجعل مسك الختام لهذا الفصل التنوي به بفضل
الأستاذ الكبير الدكتور محمود أحمد الحفنى، في ما أذاعه في المديح
من غرر أحاديثه عن الموسيقى والطرب القديم، وما لها من اعجاز
وسمو منزله . فقد أفاد وأبدع .

الفصل السابع

الفن والطرب في الأغاني القديمة

الموشحات والادوار والقصائد والطاقيق والبشارف والسماقيات

والآن نفصل لك حبات نظم هذا القديم البديع، وما في عقده
الفريد من درر وجواهر . فقد نضد الغناء القديم أجمل تنضيد ،
ونسق أبدع تنسيق .

كان للغناء القديم، بحسب وضع شيوخه، واصطلاح أرباب
فنونه طور معلوم ونهج مرسوم يمثله لك (التخت) في ليالي الاعراس
والتهريج ؛ يعنى المغنى فيها على تحته ثلاث (وصلات) . أى أن
الليالى المطربة قد شظرت شظورا ثلاثة ، بينهما فترة أو استراحة ،
يطلقون على كل شطر اسم (وصله)

وكل وصله يعمها صبغ نغمة واحدة أو صوت من أصوات الغناء ؛
كأن يعنى المغنى فى الوصله الأولى من نغمة حجاز ، ويعنى فى الثانية
من نغمة سيكا مثلا . ويسكون كل ما تعزف به المعازف وتشدو به
المغاني لا يخرج عن هذه النغمة مدة أداء الوصله . وكل وصله تنتظم
على ما سنفصله لك من النظم والتنسيق :

استهلال الوصله يسكون بتقسيم صاحب العود (لياليه) من
الصوت المراد اصطباغ الوصله به ؛ فإذا أطرب ولعب بالألباب

بمنزلة تملته آلات الطرب مجتمعة متألفه، وهي العود، والقانون
والسكان، والناي والدف، تعزف ما يسمى بالبشرف، وهي قطعة
موسيقية حافلة بالفن والطرب، غير مصحوبة بغناء، تمهد الأذان
لاستقبال النخمة التي تكون عليها الوصلة، (وتسلطن) هذه النخمة
على العازفين بهذه الآلات، حين يعزف كل منهم على آله .

فإذا بلغ البشرف تمامه، أخذ صاحب السكبان يطر بك بشي
يعزفه، ثم يأتي دور الناياتي فيسمعك مثل سجع الحمام . وهنا يأتي
دور صاحب القانون فينفرد مع المغني حين ينفى لباليه ومواله ،
ويشرح صدرك بتقاسيمه، ويروعك بلعب أنامله على أوتاره
وهنا تأتي نوبة الغناء . فتستهل بالموشح من نفس النخمة طبعاً،
ترجده أصوات المغني مع رجال فرقته جميعاً، مضميوطا على نقرات
الدف من صاحب الدف . ويعد الدفاف أساس التخت، موسيقاه
ومغناؤه، ورباط نظمه .

فاذا الموشح بلغ نهايته، فاطربك وارقصك، كانت النخمة قد
(تسلطنت) على نفس المغني وأذنه، فصدح بلياليه، فواله فالدور .
ويتألف الدور من قطعتين : الأولى المذهب، والأخرى الدور .
أما المذهب فمشارك بين المغني وبين سائر أفراد التخت، ولا سيما
(المذهبية) أو (السنيده) وهم كصبيان المغني، إلا أنهم علماء بالموشحات
والأدوار ولا شأن لهم بالآلات، قديكونون اثنين أو ثلاثة، يجمعون
أصواتهم إلى صوت المغني في غناء المذهب، ويسندونه في بعض

أجزاء الدور الذي يفتنيه المغنى وحده، فيكررونها بعده، زيادة في
الطرب، وراحة له، ليعود إلى القطع الأخرى فيزداد بذلك طرباً وانظر أبا
وجرت العادة أن يختم المغنى الوصلة الثالثة الأخيرة بقصيدة
غزلية من مختار الشعر العربي البديع، كما جرت العادة أن لا يسمع
المغنى عند (السميعة) ورواد الطرب الا في الوصلة الثالثة، لان في
الأولى، لأنه يسكون قد (انجلى) ولانت حنجرتة، وصفت نفسه
وغلب عليه طربه .

وأشهر الملحنين والمغنين من الأساتذة الكبار، وأعلام
الموسيقى الشرقية القديمة، نورد أسماءهم، كما ترد على الذاكرة، لا بقصد
تصنيفهم، وترتيب طبقاتهم واقدميتهم : عبده الخولى، ومحمد عثمان
والمظن، والشيخ يوسف الميلاوى، ومحمد سالم المشهور بالهجووز،
والشيخ أبو العلا، وعبد الحى حلى، ومحمد السبع، وسليمان أبو داود
وعبد البارى، وإبراهيم شفيق، وإبراهيم القباني وداود حسنى، والشيخ
سيد الصفطى، واحمد فريد، وسيد درويش، وزكى مراد، وصالح
عبد الحى، وعبد اللطيف البنا، وعبد الله الخولى، ومحمد أنور، ومحمد
قديم، وسيد شطبا، والشيخ عبد الله الأوضى، والشيخ محمد سليم،
واحمد صابر . ومنهم من توفى، ومنهم من انقطع عن الغناء مثل
الأستاذ الفنان إبراهيم شفيق الذى استقل بإدارة معهد الاتحاد
الموسيقى بعابدين، كما ولى إدارة معهد فؤاد الأول للموسيقى

وأشهر العازفين على العود من مطحن منهم ومن يثقي : الجمر كشي
والليثي ومحمد القصبجي، ومحمد الشربيني، وأحمد سميع، وعبد العزيز
الطويل، والسيد الصغير، وغيرهم كثير عن فانتنا أسماؤهم .
وعلى السكان : صبارون، وسامي شوا، والياس الكبير، والياس
الصغير، وتوفيق الصباح، وزكي عزت .
وعلى القانون : محمد العقاد، ومحمد ابراهيم الكبير، وابراهيم
الهربان، وعبد الحميد القضابي، ومحمد حسن السويسي، ومحمد عمر .
والمغردون بالناي أشهرهم أمين بك بوزري، وعلي صالح، وعبد
صالح، وأبو عوف .

١ - البشارف والسماقيات

وقلها يسمع جيل اليوم المساكين هذه البشارف والسماقيات
التي تهز أوتار القلوب طربا وإحكاما . لقد زويت عن الجمهور وحرمت من
سماعها، إلا ما يعزف منها في معاهد الموسيقى؛ حتى أن القائمين
بإدارة الإذاعة المصرية، كانوا يسمعوننا حضا يسيرا من هذه
البشارف، آونة وأخرى، كبشرف عثمان بك العشاق، وبشرف رصد
عاصم بك أو رصد طاتوس، فامسوا اليوم به أشجحة، وقطعوا عنا
هذه المتع النادرة المعدودة ..

والبشرف تسميته تركية (بشرو). وعن أعلام موسيقى الأتراك
أخذنا هذه البشارف البديعة، التي كانت تعد فاتحة الغناء الشرقي

القديم على التخوت . وكان يراد بها، فوق حلاوة الاطراب الذي فيها (تخضير) الآلاتية لعزف (تقاسيمهم) على آلاتهم، بإيلاج النغمه المراد الغناء بها في قلوبهم، واقرارها في آذانهم، وكذلك المعنى .
والبشرف قطعة موسيقية فنيه بارعة، تعزف في ما يقرب من ربع ساعة، باشتراك جميع آلات التخوت، وتتألف عادة من أربعة أجزاء، يسمى كل جزء منها خانة أو بدنية، تختم كل بدنيه بلازمه أو (تسليم) يتكرر أربع مرات . والسماقيات مثلها، إلا أنها تتميز عن البشارف بضرب على الدف، كضرب السماعي ثقيل مثلاً .
هذه ذات وزن دقيق كوزن الموشحات ووزن الشعر العربي على بحوره المعروفة .

والمشهور من هذه البشارف لعثمان بك : عشاق ، وصبا ، وحجاز ، وحجاز كار ، ونهوند ، وغيره ، رصد عاصم بك ، ورصد طايتوس . وسيزدولاره للسلطان سليم ، وحجاز سالم بك ، وبشرف كوزوم ، والشنبر ، وعربات السيك ، وسماعي ثقيل بياتي ، وسماعي نهاوند يوسف باشا ، وغيرها كثير .

فأين ذهب هذا الفن المحكم البديع ؟ وكيف طوى عنا هذا الطرب ؟ وما بالنا وقد حرمنا من طرب التخوت وعز القديم ، تسكت الاذاعة المصرية عن هذا ، وتحرم الموسيقى العربية من هذه النغمه الفنية ، والجمهور من هذا الطرب الرفيع الذي يربى فيه الذوق ، ويغذى منه ! لنفس والقلب ؟

ب. المرشحات

والمرشحات لها كذلك، مع التطريب البليغ، عمل (التحضير) اعني تهيئة النغمة التي سيغنى منها المعنى في أذنيه، وقرارها في قلبه، والمرشحات شعر رقيق ونظم لطيف وفق رقيق، احدها أهل الاندلس في القرن الثالث الهجري، ينظمونها اسماطا اسماطا، واغصانا اغصانا، يلتزمون قافية واحدة، ووزنا واحدا لهذه الاغصان على التتابع. فمثلا هذا الموشح وهو من نغمة السيكاء، مؤلف من اربعة ابيات، ودونك البيت الاول منه :

يا نحيف القوام التجاني حرام املا كاس المدام
 واسقيني بايدك من ايدك لايدى
 فقد رأيت كيف انه قد قسم الى اغصان، والتزم في كل غصن قافيه واحدة ووزن واحد.

وأول من وضع هذه المرشحات مقدم بن معافر. ثم برع فيه عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صيادح في القرن الرابع، وهذبه القاضي هبة الله بن سناء الملك المصري التوفي سنة ٥٦٠هـ. وسبب تسمية هذا الفن بالموشح هو لان خرجاته واغصانه كالوشاح له، والوشاح يصمم الواو وكسرهما، في اللغة كرسان اي فرعان من لؤلؤ وجوهر منظومان بخلاف، اعني يخالف بينهما لونا ونظما، وهو اديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحها.

والله وشحات ضروبات اى اوزان تسمى بالاصول لا تستقيم
الا به ، كما يستقيم الشعر باوزانه وبحوره ، لضبطها وضبط المنشد بها
عند انشادهم مجتمعين حتى لا يسبق احدهم الآخر ، ولا يتأخر عنه
بل يكونون جميعهم كواحد .

ويبر عن هذه الاوزان بلفظي (تم) و (تك) وهما بمنزلة
اجزاء العروض فى الشعر ، فهو مركب من سبب خفيف يتألف من
متحرك وساكن كقولك : لم اترك . فلم ، وأت ، ورك من اترك ،
اسباب خفيفه ، ومن سبب ثقيل يتألف من حرفين متحركين كقولك
لَمْ وَتَأْتِ . وشم تقسيبان آخران هما اللوتد ، والفاصله ، ليس هنا موضع
التفصيل فيهما .

ويوافق السبب الخفيف فى الشعر ، لفظة (تم) فى وزن الموشحات
والسبب الثقيل لفظة (تك) ، الا انه شاع فى مصر النطق بانتم والتك
كسببين خفيفين ، أما ايقاعهما على الدف ، (فالتم) يضرب على رَقِّ
الدف اعنى جلده ، والتك على صنج الدف ، أى الحلق النحاسيه
المدلاة باطار الدف . واذا لم يجدوا دفا ضربوا التم باليد بسوطه ،
والتك باليد مقبوضة ، على الفخذ أو على اى شيء كان ،

والمشهور من هذه الضروبات سبعة عشر وزنا هى : سماعي
خفيف ، وسماعى ثقيل ، والشهبر ، والورشان ، والفاصله ، والرهج
والاربعة وعشرون ، والخمس ، والمحجر ، والسته عشر ، والمدور

والمصمودي، والأوفر، والمربع، والنوخت والظرفات والاقصاق .
 ولتضرب لك مثلاً ببعض ضربات التم والتك لهذه الموسيقى
 لتذيق جلال هذا الفن الموسيقي القديم ومثانة الصنعة فيه :

المصمودي

تم تم تك تم تك تك

والسماعى ثقيل

تم تك تم تم تك

والورشسان

تك تم تك تم تك تك تك تك تم تم تم تم تك تك تك تك تم
 ونحيل القارىء المتقصى الى كتب العالم والفن الموسيقي الشرقى،
 اذا اراد معرفة بقية الضروب. فهاوردنا هنا الاضرب الامثال لمن يعنى

•

• •

ي . الدوران

أما الدور فهذا قطب الليلة الساهرة، وأس بناء الطرب، وعمدة
 الغناء . وينبغي أن يدعى بمعنى ومقتصد ومناسبه، مثل دور
 « مايسكى أنا عبدك » نغمة رست الذى لحنه طيب النكر محمد عثمان
 وغناه عبده الخولى اقراراً بفضل المليك عليه؛ ومثل دور « النيل
 أهو فاض » نغمة حجاز . ولا ندري ما الذى جعل هذا الدور من
 المهملات، حتى فى القديم، غير مشهور، مع ان معناه شريف ووضع
 جدير بالاقبال وترديد الانشاد، واليك مستهله :

النيل أهو فاض على البلاد بلغت فيه بكل المطلوب
 لما لمحتسه ارتاح قلبي وشربت في محبته حبي
 ومثله دور « يا مصر انساك عال » نغمة عشاق ، وهو نظير هذا
 الدور الذي ذكرناه ، ليس له جولة في الغناء القديم ولا ذكر ، غناه
 عبده الخولى في مهرجان قناة السويس ، تلحين الشيخ المسلوب .
 هذا مع استفاضة الأدوار بالمعاني اللطيفة ، والألفاظ الرشيقة
 والغزل الرقيق ، ولطف المداخل ، وبراعة المخارج . ولو أنك البستها
 ثوب الفصيح ، وجردتها من العامية ، لخرجت لك من طراز عجيب
 في أدب النفس وأدب اللغة .

والدور فرن رصين ، وبنيان في الموسيقى الشرقية متين يروع
 الناظرين ، وممنوعة بجميلة ، وطرب حاشد مسكر ، لا يفنيه إلا مثل
 في المغنين ، فارس في ضروب الغناء ، قد يستغرق انشاده ساعة
 وافرة من ليالك الطروب . يحول فيه المعنى كل مجال ، ويصوم ماشاء
 له الصيال ، ويطربك بالوان من الفن والطرب تشبلك من حال إلى
 حال . وإنما تضرب لك مثلاً من تهديد ، إذ كيف تهديني للسما لا يحصى
 وما تشابه في الحسن والجمال ؟

تضرب لك مثلاً بدور « يا قلب حبيك من سنين » تلحين الملاحن
 الكبير الموسيقار المبدع المأسوف عليه داود حسنى ، فإنه قطعة
 ركبت على ثلاثة أركان ، وثلاث فقر ، الفن في كل منها ناطق بقدره
 داود وسلطانه على تصريف الانغام ، وأخذها بالنواصي ثم تجتمع
 الاجزاء الثلاثة على نسق عجيب ، وحبك بديع وطرب يملأ

صدرك. فيا لها استاذية! ويا عجب بالفن الادوار يلقي سحره على سامعيه.
على أيدي السحرة من عباقرة الموسيقى الشرقية القديمة البديعة كداود
والملاحن الكبير الاستاذ ابراهيم القباني، وسيد درويش والشيخ زكريا
ومن قبلهم أئمة الطرب القديم عبده الخولي ومحمد عثمان، ومن اليهم ا
ومن أشهر الأدوار من السيكا : متع حياتك بالأحباب، وفي
البعديا ما كنت أنوح، ويا قلب مين قالك تعشق، والفؤاد حبيك،
ومن الجركا : في العشق أنا قلبي هنى، والعشق كله نواح، وتيهك على
اليوم بسنين، وعلى روى أنا الجاني، وبدع الحبيب كله يطرب ،
وأسير العشق يا ما يشوف، ومن عراق : فؤادى أسألك قول لى،
واسان الدمع أفصح من بياني، ومن الهند : كادنى الهوى وافتكارك.
إيه يفيدك، ويا قر دارى العيون، ومن الحجاز : الصلح بيتى وبين
حبيبي، وياورد خد الحبيب، وهوى حبيبي يوافقنى ، وياالله اصلح
الحال، وأنت أصل البدر عندى، وجملت هجرى حوايدك . وأنت
فريد فى الحسن، وفريد المحاسن بان، وفي مجلس الأنس الهني، يردليل
الحب فى قلبي تحكم، وأهون عليك تهجرنى، ومن الصبا : ما كنت
قلت ما تمشتشى، وما أحب غيرك وأعشق الخالص، وحبيك يا سلام
ويعيش ويعشق قلبي، وقد ما أحبك، ومن البياتي : الزشر والاشخصان
وعاهدت قلبي، والمحاسن واللطفانة ، وزاهي جمالك فتني، وفؤادى زمانى
يراعى نكاي، مالى فى حبيك، ويعهد الاخوة شدة غل، ويا فؤادى ليه
بتعشق، والقلب فى ودك مشتاق وجددى يانفس حضانك، وحفظ الحياة

والخار يا انعطفت وقبل ما تارفت بالمحبة، وسليت روحك وطول
يا ليلي، ويا وصل شرف وياللي معك روح الأمل، وقل لي، رأيت
إيه، وقديك أمير الأخصان، ومن قبل ما أهوى الجمال، وكل من
يعشق جميل؛ ومن الججاز كار: القلب في حكم الهوى، ودع العذول
والله يصون دولة حسنك، ومليك الحسن في دولة جماله، ويا ما انت
واحشني؛ ومن الرصد: ما ليكي أنا عبدك، وأصل الغرام نظرة، فؤادي
أمره عجيب وعشنا وشفنا سنين واحب الحسن خالص وأنا الغرام
وأنت الجمال، وبعد الخصام حي اصطالح، ويا طالع السعد افرح لي
والليل جاني وقال لي .

٣- المواليا (الموال)

أما الموال فهو ما يوطئ به المغني للدور الذي سيغنيه؛ وفيه
يجول المغني ويصوّل غير مقيد فيه بضرب أو وزن إلا ما يوحى
إليه فنه وإطرابه .

والموال مقطعة من الشعر العامي، كان وضعه في العصر العباسي
الأول، عصر شباب الدولة الإسلامية، وتألّق شمس مجدها، في
ما بين القرنين الثاني والرابع للهجرة. وقيل أن أول من نظمها مولاة
للبرامكة في رثائهم . وذلك أن هرون الرشيد لما فتك بالبرامكة،
أمر ألا يرثوا بشعر فرثهم مع ذلك، مستخفية في قبورهم مولاة
لهم، بمقطعات مقفيات الشطور، أربعة أربعة . كل شطر يختم بروي
واحد على قافية واحدة، من بحر البسيط ووزنه في الشعر مستفغان

فأعلن، مستظمان فأعلن، إلا أنها بعبارة عامية ملحونة . ومن هذه المقطعات: قولها فيهم :

يا دار أين ملوك الأرض أين الفرس * أين الذين هموا بالقنا والترس
 قالت تراهم رم تحت الأرضي الدرس * سكوت بعد الفصاحة الستهم خرس
 وكانت تصيح عقب كل مر بعة (وأموالها) فاقترصر في تسميته
 على لفظ المواليا ومنه شاع استعماله عند العامة بالموال جمعه هو أويل .
 ودونك مثلاً من هذه المو أويل المطربة على خفتها ورشاقتها ؛ ودنوها
 من الباب العامة :

قم في دجا الليل ترى بدرا الجمال طالع

معجب بتيهه وسعده في العلا طالع

يا مدعى الحب خذلك في الهوى طالع
 واحسب حساب العذول من ضهون أمثالك
 وان زاد بك الشوق في كتب الغرام طالع

١٥ - الطقاطيق

أما الطقاطيق فهي اسم على مسمى ، مقطعات لطيفة رشيقة ،
 هي موجز من الأدوار ، أو هي أدوار مصغرة لمن يروم التخفيف
 في الغناء ، والايجاز في الوقت ، والتيسير في الصنعة والفن . الفاظها
 أدنى إلى العامية من الأدوار ، وتكثر فيها الفكاهة والزل . تكون
 في الليالي الساخرة كالخشو اللطيف ، والمناقلة المستحبة والتنويع المستمليح
 ومن أشهر الملحنين للطقاطيق المأسوف عليهم ما الشيخ سيد درويش
 وداود حسني ، ومن قفي أثارها من تريكة الموسيقى العربية الشرقية

وأشهر هذه الطقائيق: زوروني كل سنة مرة، وصيد العصارى
يا سمك يا يابني، وسماني لي يا أمه عصفوري، ويا سلام على الغله،
ويا سيدي ياللي ممالك الورد، ويا منمشه يا بتاعة اللوز، والبحر
بيضحك ليه وأنا نازله ادلع املا القليل، وعليادي اليادي، وحبك
يامصرية، وكان العطشجي فين لما الوابور وقع انكسر، ويا زهرة
الليمون، وحرمت يا ناس ما يجيش، والوي الوي، ولا هلامه
عليك يا عيوني بحبك، وشبيك لبيك.

٥ - القصائد

أما القصائد أو الشعر العربي الفصيح، فطابع الموسيقى العربية
القديمة، والطرب الشرقي المصنفي، عرفت به الموسيقى الشرقية في
كل عصورها: الجاهلية، والاسلام، في دولتي بني أمية، وبني العباس
إلى يومنا هذا. ميزة سموها، وعلامة أدبها، ودليل لطافة ذوقها
وقلما يسمعها جيل اليوم المسكين، إلا بعض ما تنشده أم كلثوم من
قصائد شوقي، منذ عثت هذه الفوضى الموسيقية الفرنجية العربية فينا
فساداً. هذه القصائد التي قلما تخلو منها سامر وعرس وتخت في الطرب
القديم، نظم من الشعر سام ولفظ رشيق، وغزل رقيق تسمو بنفس
المستمع، وتصل ذوقه وتهذب لسانه، وتلقنه الفصاحة وتجيبه في أدب
لغته وتذكره بأهله أصوله وشرف منابته، وتملأ مع هذا طرباً وحبوراً
والقصائد عادة تختم بها الليالي، ويجعلها المغني في الذروة من عنايته
عندما يحف به الطرب ويملك قياداً لاطراب وليونة الصوت في حنجرتة

وطوا عيشته، ولا يكون ذلك إلا في الوصلة الثالثة، كما ذكر نالك، فيبدأ ع فيها
ويطرب، ويحجول في ميدانه كما شامت له صناعته وفروسيته أن يحول
ومن أشهر هذه القصائد : اراك عصي الدمع، ولم يطل ليلى
ولكن لهم أتم، وقائلة لما أردت وداعها، وشكوت فقالت كل هذا تبر ما
بحي، وعجبت لسعي الدهر بيني وبينها، وسمحت بارسال الدموع محاجري
وأفدى التي لور آءها الغصن مال لها، وأسرت فؤادي المستهام عزيمة
ويا من هواه أعزه وأذني، وساوا حمرة الخدين عن مهجة الضب
وفتكات لحظك أم سيف أبيك، بحقك أنت المني والطلب، وغيري
على السواوان قادر، وخطرت كبد التم في الحلال الحضر .

الخاتمة

نلخص الآن كتابنا هذا في نخيل ما يأتي ومصاحبه :
أولا - فليعلم الذين لا يعلمون انه لا جديد لمن لا قديم له ،
ولا عز لمن لا تاريخ له ، بل قل شر من الدواب من يجهل تاريخه .
وانه من الكرامة القومية ، وصدق الوطنية ، وسلامة الاستقلال
المحافظة على أصولنا ، واتصال حاضرنا بماضيها بسبب وثيق .
ثانيا - كل تقليد ضعف وخور ، وكل خلط في آدابنا وفنوننا، ولا
سيما في موسيقانا تبعية ومهانة ، هدامع منافرة الذوق، ومجافاة الفطرة
ثالثا - موسيقانا غنية بالفن والطرب ، وقد يمتا جمع فاعوى ابداعا
وامتاعا ، فليست هي بحاجة إلى التطعيم بموسيقى غربية غريبة، لا تأتلف

معها بأية حال ، فإن الطبايع والأذواق في الأمم مغروزة في النفوس
والأبدان . ولكل أمة طبيعتها وذوقها الخاص . فحال التبدل
فيهما والتحوير ، والنقل والتخليط .

رابعاً - لا ينبغي أن نضع جديداً ، أو نسمع جديداً في موسيقانا
وأغانينا إلا إذا كان متصلاً بقديمتنا، ووارداً وصادراً من شرعته
ونبعه، بينهما صلة شديدة ورحم واشتقاق . فإن الجديد إذا كان من صبغة
موسيقانا ، الفته طبايعنا وما فطرنا عليه ، ولم تنفّر منه أذواقنا وسماعنا .
خامساً - يجب ردع هؤلاء المستضعفين ، والمقلدين المارقين ،
من كل من يزعم أنه صاحب جديد . إن هو إلا خلط موسيقى

فرنجية بموسيقى عربية شرقية . يجب الأخذ على أيديهم وأن ينصبوا
بمقام التأديب لهم والاذلال ، بأن لا نسمع أغانيهم ولا نقبل على
الحائهم المستهجنه . فإن من يفعل ذلك منا فقد آزرهم وارخى لهم
في غرابتهم ، وأقرهم على باطلهم ، وشاركهم في جناباتهم على الوطنيه
والكرامة القومية .

سادساً - على موسيقيينا الذين لصقوا بفطرتهم القويمه ، ووقوا
أذواقهم من الانزلاق في مهاوى هذا التدجيل الذي سموه بالجديد ،
موسيقيينا الذين هم تريكة الغناء القديم والموسيقى الشرقية الاصيله ،
أن ينهضوا نهضة الاسود فيضنوا صفوفهم ، ويؤلبوا جموعهم لنصرة
منهبتهم القويم ومظاهرة الغناء القديم . ان سكوتهم وقبوعهم قد
اطمع فيهم هؤلاء الادعياء اصحاب نكرة الجديد ، فكانوا الفئسة
الغالبه يباطلهم ، واصحاب القديم المغلوبون بحقهم .

يا معشر الموسيقيين القدامى اذمروا انفسكم، وشدوا عزائمكم
وعضنوا على نواجذكم في رد المدوان عليكم وعلى الموسيقى الشرقية
الكريمة . ان لم يكن عن عزة الحق الذي انتم عليه والكرامة، فلا اقل
من أن تكون وثبتكم دفاعا عن النفس وفي سبيل العيش . كونوا
يدا واحدة، وفئة موحدة المناهج والغايات في نعش القديم واعزاز
القديم، واذاعة القديم . ولا تدعوهم سادرين في جرأتهم وباطلهم،
وانتم سكوت تنظرون .

سابعاً — على المعهد الموسيقى النهوض بالغناء القديم، والمؤازرة
للموسيقى الشرقية الصريحة، والعودة بها الى سالف عهدنا الزاهر،
وليحسر عن محاسنها، وليكشف عن نقائص دفائنها بتعليم الموشحات
والبشارف والادوار وكل ما يتصل بالموسيقى المصرية الشرقية
القديمة، وتخليصها من كل جديد مزيف موه، قوامه التخليط الشنيع
والتقليد المنزى . فان المعهد الموسيقى مصرى شرقى قبل كل شيء،
وانه من القديم نشأ، ومن اصوله نبت، وامتدت جذوعه
وورفت غصونه .

ثامناً — ان على الاذاعة المصرية تبعة جسيمه . وإن حسابها
لعسير . الا فلتعلم اننا مصرية شرقية أولاً وآخراً . ولا تجعلوا
تمصير الاذاعة اسماً بغير مسمى، وقولاً ولا فعل .

نريد من الاذاعة المصرية — وكل بلاد الشرق وكافة ابناء
العروبة، يترقبون هذا الذي نريد ويشتهونه، اذ هم يعدون مصر

زعيمته وطلبيته، وانهم ليسهمون كيف أن مصر قد انساقت في هذا
الجديد المشنوع المريب - تريد من الأذاعة المصرية أن لا تسممنا
الا القديم، ولا تنصر الا القديم وان تأخذ بأيدي موسيقيي القديم
ومغنييه، وتجمعهم من حولها وتبسط عليهم جناحها وتتفقد ثم تتعهد لها

فالتسممنا في مشرق ومغرب كل يوم الموسيقي الشرقية القديمة
ذات الطرب والابداع، مهذبة الاذواق، مغذية الوطنية، بما حوت من
بشارف وموشحات وأدوار، وأن تصون آذاننا عن سماع هذه الالحان
الهجينة الخليطة، ولا سيما الحان عبدالوهاب الكئيبه البخيله، ولا بأس
أن تسممنا من قديمه، اذ كان يصدق أول عهدانه بقصائد شوقي. بل
إننا لنعده من فرسان الغنم، اذا استطاع أن يغنينا شيئا من موشحات
القديم وادوار القديم !

ولا نقصد بهذا أن تغلق الابواب دون أي جديد، فنحن نرحب
بكل جديد تنمى اصوله الى قديمنا، ويكون منه بصلة وثيقه، كالصنو من
الصنو، فيه مع هذا قوة القديم وطربه .

هذا ما اردنا قوله. وحملا لواءه لا نبغى اجرا ولا شكورا، دفاعا عن
كرامة مصر، واعلاء الكلمة الوطنية، ونصرة للحق، وتخليصا لموسيقيانا
الشرقية العريقة الاصيله من شوائب الفرنجة، ومفاضح الخلط ومعرفة
التقليد والتبعيه، إن نريد الاصلاح ما استطعنا، وفقنا في نهضتنا
الاستقلالية الى رشد وسداد .

(فرغ من تحريره في ١٩ ابريل سنة ١٩٤٩)

مؤلفاتنا العربية في الاجتماع

(مؤلفات نفسية طبيعتها)

مذكرات حى — وعش خالياً — يوم الاربعاء — يبكى الجنين فى
أحشائى — مختار النوادر — ولى الدين يكن — فرح انطون —
الثمانون فى المائة .

كيف تنجح فى الحياة

يتضمن ثمانمائة قاعدة فى السلوك ومبغاة النجاح لأعظم رجال العالم .
من عجموا الحياة وضرسوها ، تهدى من عمل بها إلى السداد فى أعماله ،
و ضمان النجاح فى حياته . يطلب من المؤلف بمعهده ، ومن المكاتب الكبرى .
وثمنه ٧ قروش صاغ .

مؤلفاتنا الفرنسية

- (١) الكافى — الجزء الأول يشتمل على جميع علم الفرنسية .
 - (٢) الكافى — الجزء الثانى متمم للجزء الأول . (٣) مدارج الانشاء —
جزآن لتعليم الانشاء . (٤) المستغرب — معلم الفرنسية من غير معلم .
 - (٥) طريقة منسى — الجريدة الأسبوعية المتحركة فى تعليم الفرنسية
« تطلب هذه الكتب من مكتبة الهلال بالنجالة » .
- ما عدا طريقة منسى ، فتطلب من المؤلف بإدارة المعهد .